باسمه تعالى

يعقوب محمد خرسند

مدرسة ابن العميد وخصائصها الأدبية في عصر البويهيين

ملخص:

يتناول هذا المقال جانباً مهماً من أدب العصر وهو دراسة مدرسة أدبية مرتبطة بالعصر البويهي وهي مدرسة ابن العميد ؛ هناك شخصيات كانت ترتبط بالبويهيين تعدّ من أقطاب الأدب العربي بما يشمل من شعر ونثر وعلوم أدبية، بلغ طول باع عدد من هؤلاء مبلغاً في عرصات الأدب جعلهم بمثابة مؤسسين لمدارس في الأدب لها معالم خاصة بها، نهج عليها عدد من الأدباء في القرون التي تلت عصرهم، وفتحت الباب أمام نشوء أنماط جديدة في الأدب تعتمد على نظريات تعكس مرحلة التطور الفكري والذي كان قد بلغه المجتمع الإسلامي في الشرق آنذاك؛ هذا إلى جانب خصائص امتاز بها البويهيون ووجدت طريقاً إلى الأدب للتعبير عن نفسها في قوالب الكلام المنظوم والمنثور؛ وأَهمّ هذه المدارس التي تناولتها هذه الدراسة مدرسة ابن العميد.

استعرض هذا المقال، بداية موجزة عن ملوك بني بويه وأصولهم ونشأتهم ونهاية حكمهم ، وأدبهم وإغداقهم عليه ، ثم موجز عن حياة ابن العميد، ونشأته ، وعلاقته بالدولة البويهية وخصائص مدرسته الأدبية.

الكلمات الرئيسة: مدرسة– –ابن العميد –الأدبية– عصر– البويهيين

مقدمة:

كانت الثقافة العربية الإسلامية التي تكونت في القرن الثالث الهجري والتي أسهمت فيها إسهاما كبيراً عناصر غير عربية كعنصر الفرس، مستمرة في تطورها ونموها. وعند استولى البويهيون علي السلطة في المملكة الإسلامية، ولم يكن بمقدور أحد أن يوقف ضخامة هذه الحركة واندفاعها، في الوقت الذي بدأ بأنه عصر الولادة الطبيعية بتلك الثقافات بعد مرحلة التكوين، لذلك كان هذا القرن الرابع، عصرها الذهبي وعصر انبعاثها، على رغم هذا الضعف الذي لحق بالعالم الإسلامي في هذا القرن فإنه القرن الأخصب فكرياً وثقافيا وهو الأغنى بالإنجازات العقلية وهو الأثري في كمية نتاج النخب ونوعيته وفيه اجتمع عشرات المئات من الأدباء والمفكرين والفلاسفة ولم يحصل أن اجتمع في قرن من هؤلاء كما اجتمع في هذا القرن الذي وهب لهم الحرية الكفيلة بأن يختار كل أديب نمط أفكاره وأسلوب حياته وطريقة التعبير عن نفسه(1).يقول مارون عبود: ما رأيت عصراً حفل بالأدب والعلماء والشعراء كهذا العصر، أليس هو عصر المتنبي وابن العميد وابن عباد والخوارزمي وبديع الزمان والتوحيدي والصابي وابن فارس وابن دريد والشريف الرضي وابن حجاج والثعالبي وأبي فراس وكشاجم والفارابي والأصفهاني والجوهري والزوزني والأشعري والعكبري والتهامي وابن يوسف وابن سينا والمعري والقالي والجرجاني والطبري والمسعودي والرازي وابن النديم وابن عبد ربه وابن هاني والنامي والببغاء والوأواء وابن خالويه وابن جني وأبي علي الفارسي(2).في هذا القرن المزدهر امتدت السيطرة البويهية لتشمل معظم أراضي الخلافة العباسية.

أسرة البويهي نشأتها ووصولها للحكم ونهاية حكمهم:

ظهر بنو بويه على مسرح التاريخ في أوائل القرن الرابع وقد نقل مترجمو حياتهم أقوالاً مختلفة عن أسلافهم وأن سلسلة نسب هذه الأسرة مسألة يحوطها الشك إذ أنهم الملوك والأمراء الذين ظهرت عظمتهم مرة واحدة. يقول بعض المؤرخين أنهم ينتسبون إلى بهرام جور أحد ملوك ساسان ويلحقهم بعض آخر بالآلهة كما يفعل الروماني في تمجيد أبطالهم، ويقول غيرهم إنهم كانوا من دهماء الناس. ويرى الزرادشتيين أن نسبهم لا يرجع إلى بهرام جور ولكنه يرجع إلى كبير وزرائه مهرترسي وينسبهم بعض آخر إلى بني ضبة من العرب(3)أمّا نسبهم فيرتفع من بويه إلى واحد من ملوك الفرس حتّى يتّصل بيهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل- عليه السلام- وكذلك إلى آدم أبي البشر(4) وعلى كل حال فإنّها دولة نبعت بما لم

(1) قراءات في الأدب العباسي، الحركة النثرية، أحلام الزعيم، مطبعة الاتحاد دمشق، 1990، ص415.

(2) بديع الزمان الهمذاني، مارون عبود، سلسلة نوابغ الفكر العربي،دار المعارف القاهرة، طبعة الاولى 1963، ص 14.

(3) دائرة المعارف الإسلامية لفظ بني بويه، الآثار الباقية عن القرون الخالية، أبو ريحان الخوارزمي البيروني، تحقيق، إدوار كاخو(د.م.د.ت.) ص60.

(4)الفخري قي آداب السلطانية والدول الإسلامية،ابن الطقطقي دار القلم العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ص 270.

يكن في حساب الناس، ولم يخطر بعضه ببال أحد، فدوّخت الأمم وأذلّت العالم واستولت على الخلافة، فعزلت الخلفاء وولّتهم، واستوزرت الوزراء وصرفتهم، وانقادت لأحكامها أمور بلاد العجم وأمور العراق، وأطاعتهم رجال الدولة بالاتّفاق، هذا بعد الضّيق والفقر، والذلّ والمسكنة ومعاناة الحاجة والاضطهاد. فإنّ جدّهم أبا شجاع بويه وأباه وجدّه، كانوا كآحاد الرعيّة الفقراء ببلاد الدّيلم، وكان بويه صيّاد سمك، وقد كان معزّ الدولة بعد تملكه البلاد يعترف بنعمة الله تعالى، ويقول: كنت أحتطب الحطب على رأسي[1]. فأمّا الديلم وما يتّصل بها فمن ناحية الجنوب قزوين والطرم وشيء من أذربيجان وبعض الري ويتّصل بها من جهة المشرق بقيّة أعمال الريّ وطبرستان ويتّصل بها من الشمال بحر الخزر ومن المغرب شيء من أذربيجان وبلدان الران.الديالمة شعب صعب المراس ومحارب اهتم الساسانيون بضمه إلى جيشهم إذ أنهم لم يستطيعوا أن يخضعوه أو يسيطروا على بلاده سيطرة فعلية. كما أن الديالمة على حد بعض الروايات لم يعتنقوا الزرادشتية أو أي ديانة معروفة أخرى حتى دخولهم الإسلام في القرن الثالث الهجري.[2] لقد حاولت الخلافة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي التغلغل إلى بلاد الديلم ونشر العقيدة الإسلامية بين الديالمة دون جدوى على أن الإسلام انتشر بينهم بطريقة أخرى غير مباشرة. فضّل الإخوة الثلاثة (علي والحسن وأحمد)أولاد بويه أن يكونوا جنوداً بدلاً من البقاء في مهنة والدهم (صيد السمك) ووجدوا فرصتهم عندما قبلهم أمير الديلم ماكان بن كاكي في جنوده[3]. في الواقع كانت بداية التسلط البويهي عندما قلد مرداويج علي بن بويه ناحية الكرج ولقد أتاحت له بوصفه قائداً يسعى للتملك والسيطرة بأي ثمن وبأية وسيلة، وهو الذي سبق له قبل قليل تخلى عن سيده السابق ماكان بن كاكى لحظة هزيمته ليلتحق بالآخر مرداويج المنتصر أن يوسع من حدود ولايته. فلقد أدرك البويهي الكبير اللعبة كاملة،وخطوة خطوة تسير الأسرة البويهية في تدعيم دولتها مستفيدة من كل الظروف والعوامل المحيطة بها. ولا شك أن علي بن بويه كان يمتلك ذكاء وحسا سياسيا هائلا[4]. فلمّا وصل إلى الكرج ابتدأ بالإحسان إلى الرجال وملاطفة عامل البلد[5] ومن ثم تنازع مع وشمكير لسيطرته

(1) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، دار صادر – بيروت 1900،ج1 ص52. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، بتحقيق مصطفى ومحمد ابني عبدا لقادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى1992 م،ج13 ص 341. الفخري , ابن طقطقي، ص270.

(2) مروج الذهب ومعادن الجوهر،المسعودي،بيروت، 1965، ج9 ص4.

(3) المصدر نفسه،ج5 ص 365.

(4) تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي–مقاطعة فارس–، حسن منيمة، الدار الجامعية، 1987، ص19.

(5) تجارب الأمم وتعاقب الهمم, أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه، بتحقيق أبو القاسم إمامي، سروش، طهران، الطبعة الثانية، 2000 م، ج5 ص 368.

على كل من مدينة أصبهان والكرج وقم والكاشان والري وغيره حتى تم للحسن بن بويه الاستيلاء على جميعها بعد حروب طويلة[1] لما تمكّن عليّ بن بويه بفارس وتمكّن أخوه الحسن بن بويه بإصبهان نظر في أمر أخيه الأصغر أبى الحسين أحمد بن بويه فتقرّر الأمر بينهما مكاتبة ومراسلة[2] فأرسل علي بن بويه أخيه نحو بغداد عاصمة الخلافة فلمّا كان يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة 334هـ نزل الأمير أبو الحسين في معسكره بباب الشمّاسية ووصل إلى المستكفى بالله ووقف بين يديه طويلا وأخذت عليه البيعة للمستكفى بالله واستحلف له بأغلظ الأيمان ثم لبس الأمير الخلع وكنّى ولقّب بمعز الدولة ولقّب أخوه أبو الحسن على بن بويه بعماد الدولة وأخوه أبو على الحسن بن بويه بركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم وكناهم على الدنانير والدراهم.[3]

وهكذا استقر الحكم البويهي في ثلاث ولايات، يحكم ركن الدولة أصفهان والري، ويحكم عماد الدولة إقليم فارس، بينما يحكم معز الدولة كرمان والأهواز وبغداد تحت إشراف أخيه الأكبر،وبهذا أسس البويهيون إمارة وراثية في قلب الخلافة العباسية في بغداد يسندهم في ذلك جيش أجنبي معظمهم من الديلم والترك وبذلك أصبحت الخلافة العباسية مؤسسة شكلية من الناحية السياسية لم يبق عليها البويهيون إلا لاعتبارات معينة [4].وبدخول طغرلبك بغداد؛ والقبض على الملك الرحيم ومن معه كلهم آخر شهر رمضان 447هـ انتهى حكم الأسرة البويهية حيث حلَّ محلها السلاجقة في بغداد [5].

اهتمام ألامراء البويهيين بالعلم والأدب والعلماء والإغداق عليهم:

الجيل الأول من الأمراء البويهيين لم يكن لديهم اهتمام بالثقافة نتيجة لأصولهم العرقية والاجتماعية وطبيعتهم العسكرية البحتة، وهم كانوا بعيدين كل البعد عن الثقافة العربية ولهذا نرى من كلام ابن مسكويه في مجلس معز الدولة وهو لايفهم اللغة العربية لأنه فارسي الأصل وكان يحتاج لمترجم بينه وبين وزيره السابق علي بن عيسى[6]. إلا أن الجيل الثاني من الأمراء البويهيين والذي تربى وتشبع بالثقافة العربية الإسلامية فقد أبدى اهتماماً كبيراً بالحياة العلمية والأدبية، فعدا عن رعايتهم للعلماء والأدباء، والإنشاءات التي أقاموها كالمراصد والمكتبات والمدارس والمستشفيات، فإن اهتمامهم وإعجابهم وانخراطهم في الثقافة العربية قد أوصل بعضهم إلى أن يكون من الشعراء باللغة العربية التي لم يكن يجيدها أسلافهم

---

(1) انظر تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مسكوية ج5 ص386-395.

(2) المصدر نفسه، ج5 ص444.

(3) المصدر نفسه، ج6 ص115,الكامل في التاريخ, ابن الأثير، ج7 ص115.

(4)الخلافة العباسية السقوط والانهيار، فاروق عمر فوزي، دار الشروق للنشر، عمان الاردن، 2003 م ص91.

(5)المصدر نفسه، ج8 ص130.

(6) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، مسكويه، ج2 ص106.

الأوائل. فعضد الدولة البويهي كان صاحب آراء في الشعر والأدب والعلم، ويقول عنه الثعالبي: كَانَ على مَا مكن لَهُ فِي الأرض وَجعل إليه من أزمة الْبسط وَالْقَبْض، وَخص بِهِ من رفْعَة الشأن وأوتي من سَعَة السُّلْطَان؛ يتفرغ للأدب ويتشاغل بالكتب، ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء، وَيَقُول شعرًا كثيرا [1]،وكان محباً للعلوم وأهلها، مقرباً لهم محسناً إليهم، وكان يجلس معهم يعارضهم في المسائل، فقصده العلماء من كل بلد وصنفوا له الكتب منها الإيضاح في النحو والحجة في القراءات، والمكي في الطب والتاجي في التاريخ إلى غير ذلك[2]، وعمل المصالح في سائر البلاد كالبيمارستان والقناطر، وغير ذلك في المصالح العامة وجاء في كتاب سير أعلام النبلاء قوله: إذا فرغنا من إقلديس تصدقت بعشرين ألفا وإذا فرغنا من كتاب أبي علي النحوي تصدقت بخمسين ألفاً[3] وفي موضع آخر يذكر قول عضد الدولة: ((أنا غلام أبي علي في النحو وغلام الرازي في النجوم))[4] ويذكر المصنفون أن أبا علي الفارسي صحب عضد الدولة بعد أن انتقل إلى فارس، وتقدم عنده وكان عضد الدولة يفتخر بتلمذته عليه، وكان عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة شاعراً(حكم مابين 356-367هـ) وله أبيات ذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر[5] وقد عرف الناس في زمن عز الدولة البويهي منزلته في ميدان الشعر وميدان النثر، كما تناقلوا بعض أشعاره، فإن بعضهم كان يستحسن فصاحته وبلاغته، واقتنانه في أساليب الحديث والخطاب، وقد تذاكروا في هذا في مجالسهم؛ فهذا أبو الوفاء المهندس صديق أبو حيان التوحيدي وصاحبه في ليالي الإمتاع والمؤانسة يقول في ألفاظ عز الدولة ومعانيه ونظمه التي شاعت بين الناس: أيّها الأمير، ما ظننت أنك إذا خلعت رداءك ونزعت حذاءك تقول ذلك المقال، وتجول ذلك المجال، وتنال ذلك المنال، لقد انصرف ذلك الرّهط على هيبة لك شديدة، وتعظيم بالغ، ولقد تداولوا لفظك، وتتبّعوا معانيك، وتشاحّوا على نظمك[6].أما البويهي الذي يبدوا أنه أكثر انصرافا إلى صناعة الشعر فلعله ابن عضد الدولة تاج الدولة أبو الحسين أحمد فقد جمع شعره وسار في الآفاق وأنشده الناس

---

(1) يتيمة الدهر، الثعالبي، بتحقيق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان ،الطبعة الأولى، 1403هـ1983م، ج2 ص257.

(2) المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب،، المطبعة الحسينية المصرية, الطبعة الأولى. بدون تاريخ الطبعة، ج2 ص123.

(3)سير أعلام النبلاء، الذهبي، بتحقيق شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية، 1984م، ، ج12 ص288.

(4) شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، حققه محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ – 1986 م.
ج4ص408.

(5) المصدر نفسه، ج2 ص258.

(6) الإمتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424 هـ، ج3ص159.

وتداوله المصنفون و الأدباء من أمثال بديع الزمان والثعالبي...و آخرين كما كان ينشد نثره في مجالسه بفخر واعتزاز، وقد تصرف في فنون الشعر، فنظم في الفخر والغزل والخمر والطرديات، وتُعدّ أشعاره سجلاً واقعياً وإبداعياً لحياة بني بويه، حتى جعل صاحب اليتيمة يفرد فصلاً له في كتابه، يتصدره الحكم النقدي التالي:((هو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم.))[1] كما يذكر الأقدمون شعراً لأبي العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة، وهو ابن أخ عضد الدولة، وهي قصيدة خمرية في غاية الجودة والحسن والإيقاع العذب والصورة الجميلة والخيال النشيط وتدل على أن صاحبها شغف صناعة الشعر وتمرس بها زمناً وكان فارساً في مجالسها، ومجالس الأنس والطرب[2].

ابن العميد حياته ونشأته وثقافته

يعد ابن العميد أنموذجاً ساطعاً لإنسانية الثقافة العربية الإسلامية، ولشموليتها وازدهارها وعمقها، فهو يقدم تصوراً واضحاً لامتزاج الثقافات واللغات والأجناس في مظهر حضاري متميز في تاريخ الإنسانية، وحصل ابن العميد من الثقافة العربية قدر ما أتيح له، وما استوعب حافظته، من تراث الشعر العربي، والقرآن الكريم، وعيون كلام العرب والأخبار، والعلوم المختلفة الإسلامية وغير الإسلامية من علوم الفرس وآدابهم، ومن علوم الأوائل كالهندسة والفلسفة والمنطق؛ وبهذا فقد جمع في فكره معطيات الحضارتين العربية والفارسية بما فيهما من فلسفة وأدب وهندسة ومكانيك وطبيعة...الخ وهو يمثل صورة المثقف الكبير في زمنه حيث أتقن اللغتين العربية والفارسية من جهة هكذا كان كبار مثقفو ذلك العصر يتقنون هاتين اللغتين، ومن الجهة الثانية فإن هؤلاء المثقفين الكبار قدموا خلاصة جهودهم الإبداعية وغيرها باللغة العربية، وتركوا اللغة الفارسية لغير هذا المجال.ومن جهة يُعدُّ القرن الرابع عصر الكمال العلمي والأدبي في الإسلام؛ استقرت فيه القواعد، وتعينت المعالم والمناهج، ودوّن ما تيسر تدوينه في اللغة والأدب والشريعة، ونقل ما اهتمت له العرب من علوم الأوائل، وخف الصراع بين حملة الدين، ورجال الحكمة والعقل، ونشأت الفرق الباطنية، وكلها تريد إقامة ملك، واتخذ دعاتها من آل البيت تكأة، وصبغوا نحلهم بصبغة دينية[3].في مثل هذا العصر نشأ أبو الفضل محمد بن العميد أبي عبد الله الحسين بن محمد الكاتب، المعروف بابن العميد، والعميد لقب والده، لقبوه بذلك على عادة أهل خراسان في إجرائه مجرى التعظيم[4]، وكان والده أبو عبدالله الحسين بن محمد المعروف بكلّة والمشهور بالعميد فِي الرُّتْبَة الْكُبْرَى من الْكِتَابَة ورسائله مدونة بخراسان، وَذكر أَبُو إِسْحَاق الصابي فِي الْكتاب التاجي أَن

(1) يتيمة الدهر، الثعالبي ج2 ص161.

(2) المصدر نفسه، ج2 ص264.

(3) أمراء البيان، محمد كرد علي، ط2، ج2، ص 567.

(4) وفيات الأعيان، ابن خلكان،ج5 ص103. الوسيط في الأدب العربي، أحمد الاسكندري ومصطفى عناني، القاهرة، الطبعة الثانية، 1931م، ص209.

رسائل أبي عبد الله لَا تقصر فِي البلاغة عَن رسائل ابْنه أبي الْفضل، وكان للعميد دوره في تنشئة ولده محمد، الذي لقب فيما بعد بابن العميد، نشأ في رعاية أبيه في بيت فضل، وعلم، وأدب، وترسل[1] ودرّبه في الكتابة، وغذاه بالعلم، فبرع في الإنشاء والترسل، وتوسع في الفلسفة والنجوم[2]، إضافة إلى العلوم الطبية والهندسة[3]، والتاريخ[4]، وعلوم الحكمة،[5] والنحو والعروض، واهتدى إلى الاشتقاق، والاستعارات، وحفظ معظم دواوين شعراء الجاهلية والإسلام، وَلم تطل الْأَيَّام حَتَّى أَتَت على أبي عبد الله منيته ووافت أَبَا الْقَاسِم أمْنِيته وَتَوَلَّى ديوَان الرسائل فَسبق من قبله وأتعب من بعده وَلم يزل أَبُو الْفضل فِي حَيَاة أَبِيه وَبعد وَفَاته بِالريِّ وكور الْجَبَل وَفَارِس يتدرج إِلَى الْمَعَالِي ويزداد على الْأَيَّام فضلا وبراعة حَتَّى بلغ مَا بلغ وَاسْتقر فِي الذورة الْعليا من وزارة ركن الدولة ورياسة الْجَبَل وخدمه الكبراء وانتجعه الشُّعَرَاء[6].وظل أبو الفضل في تلك الوزارة إلى غاية موته سنة 360للهجرة أي حوالي اثنتين وثلاثين سنة، وهي أطول مدة مكثها وزير في خطته طيلة القرن الرابع. فتمكن بذلك من الإسهام الفعال في بناء هذه الإمارة ومن خلالها، في بناء دولة بني بويه عموماً؛ عسكرياً واقتصادياً وسياسياً وثقافياً.

ومن اللافت للانتباه فيما يتعلق بثقافة هذا الرجل، أننا لا نكاد نعرف عن أساتذته سوى والده، ولا عن دراسته وكيفية تحصيله، رغم اتساع معارفه وتنوعها وضربه بسهم في كل فن من فنونها. وذلك ما أكده شوقي ضيف بقوله: ولسنا نعرف شيئاً ذا قيمة عن أساتذة ابن العميد سوى ما عرفناه عن أبيه، ثم ماذكره صاحب الفهرست عن أستاذ له يسمى محمد بن علي بن سعيد المعروف باسم سمكة[7]، ثم يضيف: على كل حال ليس بين أيدينا ما يدل دلالة واضحة على المنابع الثقافية التي نهل منها ابن العميد، غير أننا لا نتابعه في آثاره، وفي حياته أثناء وزارته، حتى نجده يلم بجميع ضروب الثقافة لعصره[8]. وأوثق مصدر للتعرف على شخصية أبي الفضل هو كتاب تجارب الأمم لمسكويه، إذ صحبه طويلاً وخدمه في حله وترحاله، واعتنى بخزانة كتبه الشهيرة، وقد ذكر أن صحبته له دامت سبع سنين ليلاً

---

(1) شعر الكتاب في القرن الرابع الهجري، وفيقة الدخيل،مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1421هـ-2000م ،ص 126. بلاغة الكتاب في العصر العباسي، محمد نبيه حجاب، ط2، مكة، جامعة أم القرى، 1406هـ-1980م، ص 292.

(2)تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، مطبعة الاعتماد، ط5 ، ص 178.

(3)الجامع في تاريخ العربي، الأدب القديم، حنا الفاخوري، دار الجيل، ط1، 1986م. ص 642.

(4) تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، عمر فروخ، دار العالم للملايين ، ج1 ، بيروت 1928م، ج2، ص 500.

(5) الوسيط في الأدب العربي، أحمد الإسكندري،ومصطفى عناني بك، دار المعارف، مصر، 1916م، ص 209.

(6) يتيمة الدهر ج3 ص185.

(7) – الفهرست، ابن النديم، المحقق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، الطبعة الثانية 1417 هـ – 1997 م.ص171.

(8) – الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة عشرة.ص206

ونهاراً[1]. ويتبين من رسائل أبي الفضل، وما أورده عنه مسكويه، أنه بلغ الغاية في التثقف بكل ما تتطلبه مهنة الكتابة من معارف وخبرة عملية حتى أصبح على حد تعبير مسكويه: أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظاً للغة والغريب وتوسّعاً في النحو والعروض واهتداء إلى الاشتقاق والاستعارات وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والإسلام[2].وإلى جانب حذق اللغة وعلومها وحفظ الشعر وإتقان فنونه، كان أبوالفضل متمكناً من القرآن وعلومه، ويذكر مسكويه هذا بقوله: فأمّا تأويل القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه والمعرفة باختلاف فقهاء الأمصار فكان منه في أرفع درجة وأعلى رتبة[3]. غير أن خصال أبي الفضل الثقافية لم تقف عند ذلك الحد لأنه لم يكن كاتباً عادياً من كتّاب الدواوين، وإنما كان كاتباً أديباً من طراز الجاحظ وعلى طريقته، بل ولقد كان يسمى الجاحظ الثاني؛ ومما ذكره ياقوت الحموي في هذا الشأن قوله: وكان ابن العميد إذا طرأ عليه أحد من منتحلي العلوم والآداب وأراد امتحان عقله سأله عن بغداد، فإن فطن بخواصّها وتنبّه على محاسنها وأثنى عليها جعل ذلك مقدّمة فضله وعنوان عقله، ثم سأله عن الجاحظ، فإن وجد أثرا لمطالعة كتبه والاقتباس من نوره والاغتراف من بحره وبعض القيام بمسائله قضى له بأنه غرّة شادخة في أهل العلم والآداب، وإن وجده ذامّاً لبغداد غفلا عما يحب أن يكون موسوماً به من الانتساب إلى المعارف التي يختص بها الجاحظ لم ينفعه بعد ذلك شيء من المحاسن[4]، فلاعجب أن نجد أبالفضل، والحال تلك، آخذاً من كل فنّ بطرف، لا على سبيل الاطلاع وحسب، وإنما على التعمق والدراية، شأن الأستاذ المعلم لا شأن التلميذ المتعلّم و في هذا الشأن يقول مسكويه: وأخذ في الهندسة والتعاليم فلم يكن يدانيه فيها أحد.فأمّا المنطق وعلوم الفلسفة والإلهيات منها خاصة فما جسر أحد في زمانه أن يدعيها بحضرته إلّا أن يكون مستفيدا أو قاصدا قصد التعلم دون المذاكرة[5].

كان يجلس المتنبي في دسته ويقعد بين يديه، فيقرأ عليه الجمهرة لابن دريد، لان المتنبي كان يحفظها عن ظهر قلب[6]. ومدحه بقصائد عديدة منها [7]:

جاء نيروزنُا وأنتَ مرادهُ وَرَرَتْ بالذي أراد زِنادُهْ

هذه النظرةُ التي نالها من كَ إلى مثلها من الحول زادُهْ

(1) مسكويه تجارب الأمم، ج6 ص 315.

(2) المصدر نفسه،ج6ص 314.

(3) المصدر نفسه، ج6 ص 316.

(4) – معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995،ج1 ص461.

(5) تجارب الأمم، مسكويه،ج6 ص317.

(6) بغية الطلب في تاريخ حلب،ابن العديم،بتحقيق سهيل زكار، دار الفكر،ج2 ص652.

(7) ديوان المتني، البرقوقي، دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان، 1407هـ 1986م،ج2 ص148.

ينثني عنك آخرَ اليوم منه ناظرٌ أنتَ طرْفُه ورُقادُهْ
نحن في أرض فارس في سرور ذا الصباحُ الذي نرى ميلادُهْ
عظّمته ممالكُ الفرس حتى كلُّ أيامِ عامهِ حُسّادُهْ
ما لبسنا فيه الأكاليلَ حتى لَبِسْتها تلاعُه ووهادُهْ

إلى أن يقول:

ما تعودت أن أرى كأبي الفض ل وهذا الذي أتاه اعتيادهْ
إن في الموجِ للغريقِ لعذرا واضحا أن يفوته تعدادهْ
للندى الغلب أنه فاض والش عر عمادي وابن العميد عمادهْ

وقد ذاع صيت ابن العميد وطارت شهرته بالآفاق، وقصده الكثير من الشعراء والعلماء، وكان كريماً عليهم، متواضعاً معهم، وكان يقترح موضوعات الأدب ليتنافسوا فيها، ولم يبخل في صرف الأموال على من أحسن من العلماء وطلاب العلم(1). وكان يعقد المناظرات الفقهية والكلامية واللغوية بين الفقهاء والمتكلمين واللغويين(2).

وهذا كله يؤكد أن ابن العميد أتاح لنفسه ثقافة واسعة(3). ومما انفرد به ابن العميد، من المعارف، بين نظرائه اختصاصه بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل التي يحتاج فيها إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجرّ الثقيل ومعرفة مراكز الأثقال(4) وكان من أئمة البلاغة في زمانه حتى قيل "فتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد"(5)، فلذلك فابن العميد أديب وكاتب، وشاعر، ولغوي، وحكيم، وفلكي، وسياسي ووزير(6)، حيث "استقر في الذروة العليا من وزارة ركن الدولة البويهي"(7). ومن سياسة ابن العميد وهو الصدر المقدم في الآداب والسياسة أنه كان يصون مجلسه عن الخوض في مسائل الخلاف في الدين، وقد يقاطع من يحاول المناقشة فيه، وهو جد عارف بأهل الأثر وأهل الرأي من فقهاء الأمصار، بصير بالمحكم والمتشابه من آي القران، إلى معارف جمة في النحو والتصريف واللغة وأشعار العرب، يدرك ما يجر الخلاف من تبعات على دولة اختلفت مذاهب

(1) ظهر الإسلام، أحمد أمين، بيروت، دار الكتاب العربي، 1388هـ-1966م، ج1 ص252

(2) أبو حيان التوحيدي، بين ابن العميد الأب وابن العميد الابن، طه الحاجري، الكويت، مجلة العربي، العدد 179،1393هـ-1973م، ص 137.

(3) الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ص207.

(4) تجارب الأمم، مسكويه، ج6 ص318.

(5) الأعلام، خير الدين الزركلي، ج4 ، ص 301.

(6) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي،بدون تاريخ، ج9، ص 257.

(7) أعلام الأدب العباسي، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1980م، ص 165.

سكانها وأجناسهم، وتباينت أهواؤهم ودرجات ثقافتهم، خصوصاً ومذهبه غير مذهب سلطانه وهو فوق ذلك متشبع بالحكمة حتى يتهمه بعضهم في دينه، شأن الناس منذ العهد القديم مع من يشتغل بهذا العلم البغيض إلى الفقهاء وأتباعهم والناس في كل زمان أسرع إلى تكفير أهل التفكير من الماء إلى المنحدرات[1]. مع كل هذه الخصال، كان أبو الفضل بن العميد رجلاً رفيع الأخلاق شديد التواضع على غرار كبار العلماء وأجلّائهم، وقد غدا ابن العميد محط إعجاب الكثيرين الذين أثنوا عليه، وَكَانَ يُقَال بدئت الْكِتَابَة بِعَبْد الحميد وختمت بِابْن العميد ومدحه الصاحب بمدائح كَثِيرَة استفرغ فِيهَا جهده وَألقى حميته؛ وَمَا أحسن وأصدق مَا قَالَ لَهُ الصاحب وَقد سَأَلَهُ عَن بَغْدَاد عِنْد مُنْصَرفه عَنْهَا:(بَغْدَاد فِي الْبِلَاد كالأستاذ فِي الْعبا)د[2]

فَمن عُيُون شعره فِيهِ قَوْله من قصيدة:

من لقلب يهيم فِي كل وَاد ... وقتيل للحب من غير وَاد

إِنَّمَا أذكر الغواني والمقصد ... سعدي مكثرا للسواد

وَإِذا مَا صدقت فَهِيَ مرامي ... ومنائي وروضتي ومرادي

وندى ابْن العميد إِنِّي عميد ... من هَواهَا ألية الأمجاد

لَو درى الدَّهْر أَنه من بنيه ... لازدرى قدر سَائِر الْأَوْلَاد

أَو رأى النَّاس كَيفَ يَهْتَز للجود ... لما عددوه فِي الأطواد

أَيهَا الآملون حطوا سَرِيعا ... برفيع الْعِمَاد واري الزِّنَاد

فَهُوَ إِن جاد ضن حَاتِم طي ... وَهُوَ إِن قَالَ قل قس إياد

وَإِذا مَا ارتأى فَأَيْنَ زِيَاد ... من علاهُ وَأَيْنَ آل زِيَاد

أقبل الْعِيد يستعير حلاه ... من علاهُ العزيزة الأنداد

سيضحي فِيهِ لمن لَا يواليه ... وَيبقى بَقِيَّة الأعياد

ومديحي إِن لم يكن طَال أبياتا ... فقد طَال فِي مجالي الْجِيَاد

إِن خير المداح من مدحته ... شعراء الْبِلَاد فِي كل نَاد[3]

وأورد زكي مبارك: "فليست الكتابة عن ابن العميد زخرفاً براقاً يلهو به، ولا ثروة لغوية يكاثر بها الكتاب، ولكن الكتابة عنده ثورة عقلية أو وجدانية، يرمي بها كما يرمي البركان بأقباس الهلاك، وقد يرق فتحسب

(1) أمراء البيان، محمد كرد علي، ج2 ص553.

(2) يتيمة الدهر، الثعالبي، ج3 ص183.

(3) يتيمة الدهر، الثعالبي، ج3 ص186.

نثره نجوى حبيبين في هدأة الليل، وهو في رقته وجزالته وغضبه، وحنانه، عبقري لا يعبث يرجع الحديث المعاد، وإنما يجدّ بإبداع الرأي الصائب والقول الرصين"(1).

ثم يردف قائلاً: "إن ابن العميد حين يتكلم عن مليكه يتكلم بقوة وحرية، ويعبر عن إرادته الذاتية أكثر مما يعبر عمن يكتب باسمه"(2).

وإذا تصفحنا رسائله وأشعاره وجدنا فيه الحجة على علو همته ومدى بلاغته واتّساع ثقافته؛ ومن مجالسه تخرج الأدباء والشعراء والكُتّاب والفلاسفة والفقهاء ... وغيرهم مثل ابنه أبي الفتح بن العميد والصاحب بن عباد، ومسكويه والعامريّ وغيرهم وإذا كانت الري قد تحولت إلى عاصمة من أكبر العواصم الثقافية في المشرق الإسلامي بعد بغداد، فالفضل في ذلك يعود إلى أبي الفضل بن العميد ثم سار على نهجه ابنه أبو الفتح ثم تلميذه الصاحب بن عبَّاد، حتى قال المقدسي عنها عند زيارته لها في أواسط العهد البويهيّ: وبه مجالس ومدارس وقرائح وصنائع ومطارح ومكارم وخصائص لا يخلو المذكّر من فقه ولا الرئيس من علم ولا المحتسب من صيت ولا الخطيب من أدب هو أحد مفاخر الإسلام وأمهات البلدان به مشايخ واجلّة وقرّاء وأئمة وزهّاد وغزاة(3).

ولم تكن براعته السياسية ميزة أبي الفضل الوحيدة بوصفه رجل دولة، بل كان كذلك قائداً عسكرياً مشهوداً له بالبراعة والتفوق. وأيضاً أظهر أبوالفضل من الكفاءة مابهر به معاصريه وحقق به النصر تلو النصر على أعدائه وركز به دعائم دولة صاحبه. ولنستمع إلى شهادة مسكويه الذي كان يرافقه في العديد من حروبه، فهو يقول: فإذا حضر المعارك وباشر الحروب فإنّما هو أسد في الشجاعة لا يصطلي بناره ولا يدخل في غباره ولا يناويه قرن ولا يبارزه بطل مع ثبات جأش وحضور رأى وعلم بمواضع الفرص وبصر بسياسة العساكر والجيوش ومعرفة بمكايد الحروب(4).

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن نشير إلى مسألة مهمة وهي أن تفوق ابن العميد العسكري لايعود فقط إلى شجاعته وذكائه وسيطرته على جنوده وإنما يعود كذلك إلى ميزة أخرى انفرد بها بفضل براعته في العلوم الطبيعية والفيزيائية وعلم الحيل؛ وإذا اعتمدنا شهادة مسكويه فإن ابن العميد كان من أوائل المخترعين في المجال العسكريّ ويعود إليه الفضل في محاولة الاستفادة من العلوم النظرية في الواقع العملي أي مانسميه اليوم تحويل العلم إلى تكنولوجيا؛ وهي الحلقة الأهم الناقصة في التطور العلميّ العربيّ الإسلامي في العصر الوسيط غير أننا لانجد معلومات دقيقة وكافية حول هذه الاختراعات التي توصل إليها ابن العميد واستعملها في حروبه وكان لها الفضل في ترجيح كفته وتحقيق النصر في معاركه، وكل

(1) النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك ، مكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط2، ج2 ، ص 202.

(2) المرجع نفسه، ص 203.

(3) أحسن التقاسيم، المقدسي، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، 1991/1411،ص390-391.

(4) تجارب الأمم، مسكويه،ج6 ص319.

مانجده هو تلك الإشارة الموجزة التي أوردها مسكويه في معرض تنويهه بخصال هذا الرجل، فقال: ثم كان يختصّ بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد كعلوم الحيل التي يحتاج فيها إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجرّ الثقيل ومعرفة مراكز الأثقال وإخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة إلى الفعل وعمل آلات غريبة لفتح القلاع والحيل على الحصون وحيل في الحروب مثل ذلك واتخاذ أسلحة عجيبة وسهام تنفذ أمداً بعيداً وتؤثر آثاراً عظيمة ومرائي تحرق على مسافة بعيدة جدّاً[1].

ولكن التوحيدي في مثالب الوزيرين وفي الإمتاع والمؤانسة قدم لنا صورة لأبي الفضل ابن العميد، مغايرة، تماماً للصورة التي رسمها له مسكويه، وقد وصفه بالبخل وعقوق والده، ولم ير له فضلاً في الأدب، بل اتهمه على لسان ابن ثوابة بأنه: أوّل من أفسد الكلام أبو الفضل، لأنه تخيّل مذهب الجاحظ وظنّ أنّه إن تبعه لحقّه، وإن تلاه أدركه، فوقع بعيدا من الجاحظ، قريبا من نفسه[2].

ولكننا نعلم مدى تحامل التوحيدي على ذو الفضل من معاصريه، خاصة من لحقه منهم أذى، وكان يعتقد أن ابن العميد، بخسه حقه ولم ينله ماكان يرجوه عنده، فانقلب عليه ثالباً هاجياً. غير أنه لم يستطع في حالات كثيرة أن يخفى اعترافه بقيمة هذا الرجل وإذا تأملنا رسالته في (مثالب الوزيرين) نجد أن مثالب أبي الفضل لا تكاد تذكر أمام مثالب ابن عبّاد حتّى لكأنّ الرسالة بأكملها كانت مخصصة له، وهو ما يؤكد أن التوحيدي لم يجد الكثير من العيوب التي يمكنه أن يرمي بها هذا الوزير، وانصرف إلى ابن عبّاد يتلقط مساوئه، ويضخم منها في تحامل ظاهر لم ينكره هو نفسه، وإنما فسره بالحالة التي كان عليها عندما عاد إلى بغداد سنة 370هـ خائباً بعد فوت مأموله من ذي الكفايتين(أبي الفتح بن العميد) نضّر الله وجهه عاتبا على ابن عبّاد مغيظا منه، مقروح الكبد[3]، أما مسكويه فقد انتبه إلى ما في كلامه عن أبي الفضل ابن العميد من حماس الإعجاب والانبهار، وخشي أن يشكك البعض في صدق وصفه له أو أن يتهم بالمغالاة الناتجة عن طبيعة العلاقة الحميمة بينه وبين أبي الفضل، فأقسم أنّه لم يعد الحقّ في كل ماذكره عنه وقال: لعلّ من يطّلع على هذا الفصل من كتابنا ممن لم يشاهده يظن أنّا أعرناه شهادة أو ادّعينا له أكثر من قدر علمه ومبلغ فضله. لا والذي أنطقنا بالحقّ وأخذ علينا ألّا نقول إلّا به[4].

ويمكننا الاطمئنان إلى رواية مسكويه بعد تجريدها من عبارات الإعجاب والانبهار، وذلك اعتمادا على إجماع كلّ من عرف ابن العميد على التنويه بخصاله والإشادة بشخصيته، حتى أن الصاحب بن عبّاد الذي عُرف بالإسراف في الإعجاب بنفسه والحط من قيمة غيره، كان يقول: "بَغْدَاد فِي الْبِلَاد

(1) تجارب الأمم، مسكويه، ج6 ص319.

(2) الإمتاع والمؤانسة، التوحيدي، ص66.

(3) المصدر نفسه، ص 34.

(4) تجارب الأمم، مسكويه، ج6 ص323.

كالأستاذ(ابن العميد) فِي الْعباد"[1]. بل إن التوحيدي نفسه، لم يتمالك عن الاعتراف بقيمة ابن العميد وابن عبّاد رغم كل المثالب التي دوّنها في حقهما، فكتب عندما قارب الفراغ من كتابه في أخلاق الوزيرين: ولولا أنّ هذين الرجلين- أعني ابن عباد وابن العميد- كانا كبيري زمانهما، وإليهما انتهت الأمور، وعليهما طلعت شمس الفضل، وبهما ازدانت الدنيا، وكانا بحيث ينشر الحسن منهما نشرا، والقبيح يؤثر عنهما أثرا، لكنت لا أتسكّع في حديثهما هذا التسكع، ولا أنحي عليهما بهذا الحد[2]، ودلّ على ارتفاع شأن أبي الفضل من مسير المتنبي إليه ومدحه إياه بقصيدتين آنف الذكر وهو الذي رفض أن يمدح غيره من الوزراء مثل المهلّبي والصاحب بن عبّاد رغم شديد رغبتهما في ذلك واستعدادهما لبذل كل نفيس في سبيله.

وقد كانت مجالس ابن العميد في رحاب عضد الدولة وأبيه ركن الدولة مجالس إبداع ثرّ يجتمع فيها أدباء العصر وأعيانه على اختلاف مشاربهم اجتماع مودة وصفاء يتداولون فيه أصناف الأدب وأنواع العلوم، وتنقل إلينا تلك المجالس صورة الحياة العامرة الغنية بأنواع المعارف والآداب والفنون والعلوم...الخ، وفي يوم من الأيام اجْتمع عِنْد ابن العميد أَبُو مُحَمَّد بن هندو وَأَبُو الْقَاسِم بن أبي الْحُسَيْن بن سعد وَأَبُو الْحُسَيْن بن فَارس وَأَبُو عبد الله الطَّبَرِيّ وَأَبُو الْحسن البديهي فحياه بعض الزائرين بأترجة حَسَنَة فَقَالَ لَهُم تَعَالَوْا نتجاذب أهداب وصفهَا فَقَالُوا إِن رأى سيدنَا أَن يبتدىء فعل فابتدأ وَقَالَ: وأترجة فِيهَا طبائع أَربع

فَقَالَ أَبُو مُحَمَّد: وفيهَا فنون اللَّهْو للشُّرْب أجمع

فَقَالَ أَبُو الْقَاسِم:يشبهها الرَّائِي سبيكة عسجد

فَقَالَ أَبُو الْحُسَيْن بن فَارس: على أَنَّهَا من فَأْرَة الْمسك أضوع

فَقَالَ أَبُو عبد الله الطَّبَرِيّ: وَمَا اصفر مِنْهَا اللَّوْن للعشق والهوى

فَقَالَ أَبُو الْحسن البديهي: وَلَكِن أَرَاهَا للمحبين تجمع

ومثل ذلك كثير في مجالس ابن العميد وقد أورد الثعالبي بعضاً منه، مما يدل على ازدهار هذا اللون من الشعر مقابل اضمحلال الألوان التقليدية من القصيدة العربية التي تحاكى بنية شعر الفحول.

فأمّا عن مؤلفاته فقد ألف ابن العميد كتباً متنوعة منها: "كتاب ديوان رسائله" ذكره النديم، وقد نوّه مسكوية برسائله التي تناولت أحوال البلاد فقال: "فأما اضطلاعه بتدبير الممالك وعمادة البلاد واستغزار الأموال، فقد دلّت عليه رسائله" ولاسيما رسالته إلى أبي محمد بن هند التي يخبر فيها باضطراب أمر فارس، وسوء سياسة من تقدمه لها، وما يجب أن يتلافى به حتى تعود إلى أحسن أحوالها.

(1) يتيمة الدهر، الثعالبي، ج3 ص183.

(2) معجم الأدباء، ياقوت،ج2 ص688.

ومن كتبه: "المذهب في البلاغات" وكتاب "الخَلْق والخُلُق" و"ديوان في اللغة" وقد خرج في أواخر حياته على رأس جيش لقتال الزعيم الكردي حسنويه، ولكنه توفي في الطريق في صفر عام 360هـ[1]، وقد نيّف عمره على ستين سنة[2].

إذا قرنّا كل هذه الخصال لدى الوزير ابن العميد بما عرف عنه من إخلاص ووفاء لسلطانه وصديقه ركن الدولة، أدركنا أي مكانة يحتلها هذا الرجل في جهاز دولة البويهيين بالجبال والري. وعلمنا أنه كان بحق إحدى الدعائم التي قام عليها عرشهم، وهو ما يؤكد مرة أخرى، أنّ فئة الكتّاب كانت بحقّ تقوم بدور الشريك في السلطة البويهية تأسيساً وتوطيداً وتدبيراً.

خصائص مدرسته المعروفة بالسجع والبديع

ابن العميد من أهل القرن الرابع الهجري وهو قرن أخرج نخبة شهيرة من أرباب الأقلام كأبي إسحاق الصابي وأبي بكر الخوارزمي والصاحب بن عباد وبديع الزمان الهمذاني وأبي هلال العسكري وأبي حيّان التوحيدي وأبي الفرج الببغا وقابوس بن وشمكير وأبي الفضل الميكالي وسواهم[3].لقد أطلق على مدرسة الكتابة الفنية والترسل الإنشائي في هذا العصر، مدرسة السجع والبديع، والتي تتخلص ميزاتها بما يأتي:

تغلب السجع بأنواعه المختلفة على رسائل هذه المدرسة، حتى صار صناعة فنية أصلية لتجميل العبارة وزخرفة الأساليب، بالإضافة إلى ألوان البديع الأخرى كالجناس والطباق والتورية، مع عنصر الخيال كالتشبيه والاستعارة، وقد ذاع السجع وشاع على هذه الأساليب بالأبيات الشعرية، كما رصعوها بآيات الله البينات، والأحاديث الشريفة، والحكم البالغة، والأمثال السائدة، والإشارات التاريخية والأحداث الكبرى، والقصص الطوال، كما سنلاحظ في رسائل ابن العميد فيما بعد؛ لأنه هو رائدها[4].

هنا يجدر بي أن أتحدث عن ميزات الترسل بشكل عام للعصر الذي عاش فيه ابن العميد، فمن هذه الميزات[5] :

1- شيوع السجع والإطناب، مع قلة في الجناس والطباق.

2- تضمين الرسائل الحكم والجوامع والأمثال والأشعار، والإشارات التاريخية والعلمية، والنكت الأدبية، والملح الفكاهية، خاصة في الرسائل الإخوانية.

---

(1) انظر ترجمة ابن العميد في دائرة المعارف الإسلامية، ا.ي.فننك، بترجمة محمد ثابت الفندي والآخرين،مطبعة مصر، شركة مساهمة المصرية، 1353هـ-1934م، المجلد الأول، ص 244.

(2) تاريخ ابن الأثير، ج 8، ص 446.

(3)أنيس المقدسي، تطور أساليب النثرية في الأدب العربي، دار العلم للملايين،بيروت، لبنان، ط9، 1998م.ص250.

(4) بلاغة الكتّاب، محمد نبيه حجاب، ط2، 1406هـ-1986م، ص166.

(5) تاريخ الأدب العربي، بيومي السباعي، ج3، ط2، 1985م، ص140-146.

3- أغرموا بالخيال الشعري، واستخدموا صوره، حتى صار كلامهم والشعر سواء، لولا أنه غير موزون، ثم انتقلوا إلى ترصيع الكتاب بالشعر، في كل فقرة بشطر، وساعدهم على ذلك أنّ أكثرهم كانوا كتّاباً وشعراء.

4- أكثروا من التعظيم والتفخيم للملوك والأمراء، وبالإطناب لهم في جمل الدعاء والتفخيم، وذلك تأثراً بالفرس، وتعدوا في ذلك إلى الإخوان، نتيجة لهذا، جاء الكُتّاب من التصريح بأسماء الخليفة والرؤساء وبألقابهم، تنزيهاً لها، كقولهم عن الخليفة بالحضرة المقدسة النبوية، أو السيرة النبوية، وعن ديوان الإنشاء بالديوان الشريف، ومن الكتّاب بالشيخ، أو الرئيس، أو الأستاذ، أو العميد، أو الصاحب.

5- اتخذوا للرسائل نمطاً خاصاً بها، كالبدء بمخاطبة المرسَل إليه بلقبه أو نعته بعد الإشارة إلى كتابه إن كان منه كتاب، ويعقبوا ذلك بالدعاء الملائم له بصيغة الغائب، أو قد تفتتح بالدعاء، كما في رسالة ابن العميد في شهر رمضان من هذا الفصل. ثم ينقلوا إلى المقصود،بنفس هذه الصيغة غالباً، أو بصيغة الخطاب في بعض الأحيان.

يعتبر ابن العميد بحق رائد مدرسة (السجع والبديع) الفنية الخالدة، التي كانت ولازالت غرة في جبين النثر العربي، بطريقتها الفذة الجديدة التي سحرت ألباب الأدباء، وسيطرت على أقلام الكتّاب(1). اشتهر ابن العميد بالترسل، وقد لقب بالجاحظ الثاني أو الجاحظ الأخير(2)؛وكان شديد الولع به يؤكد ذلك الثعالبي بقوله: وَكَانَ أَبُو الْفضل بن العميد إِذا طَرَأَ عَلَيْهِ أحد من منتحلي الْعلم وَأَرَادَ امتحان عقله سَأَلَهُ عَن بَغْدَاد فَإِن فطن عَن خواصها وَنبهَ على محاسنها وَأثْنى عَلَيْهَا خيرا جعل ذَلِك مُقَدّمَة فَضله وعنوان عقله ثمَّ سَأَلَهُ عَن الجاحظ فَإِن وجد عِنْده أثرا بمطالعة كتبه والاقتباس من أَلْفَاظه وَبَعض الْقيَاس بمسائله قضى بِأَنَّهُ غرَّة شادخة في الْعلم وَإِن وجده ذامّاً لبغداد غافلا عَمَّا يجب أَن يكون موسوما بِهِ من الانتساب إِلَى المعارف التي يخْتَص بهَا الجاحظ لم ينْتَفع بعد ذَلِك عِنْده بشيء من المحاسن(3)، ورغم أن ابن العميد قد لقب بالجاحظ وكان شديد الولع به، فإن هذا لا يعني أنه ينتمي إلى مدرسة الجاحظ، بل يلاحظ أن مدرسة ابن العميد الأدبية تختلف عن مدرسة الجاحظ في عدة جوانب. من المحتمل أنه لقب بالجاحظ لمكانته، وهذا التشبيه بين الجاحظ وغيره من أدباء العصر كان شائعاً في حينه(4). ويبدو أن إعجاب ابن

---

(1) بلاغة الكتّاب في العصر العباسي، محمد نبيه حجاب، ص171.

(2) يتيمة الدهر ج3 ص183. وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج5 ص104.

(3) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ،دار المعارف – القاهرة، ص512.

(4) يقول بديع الزمان الهمذاني في المقامة الجاحظيةّ: يَا قَوْمِ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالُ، وَلِكُلِّ دَارٍ سُكَّانٌ، ولِكُلِّ زَمَانٍ جَاحِظٌ، مقامات بديع الزمان الهمذاني ،أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بديع الزمان الهمذاني ،بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة الأزهرية، 1342 هـ – 1923 م، ص85. يبدوا أن بديع الزمان الهمذاني كان يعتبر نفسه جاحظ عصره. وقد يسمى أحد الكتّاب الجاحظ منطقة من المناطق. فعلى سبيل المثال كان أبو زيد البلخي يسمى بجاحظ خراسان، لعلمه=

العميد بالجاحظ كان لجهة علمه وفكره لا لجهة أسلوبه، و قد يدعم ذلك قول ابن العميد إنّ "كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً" [1]. كان ابن العميد أول كاتب احتكم إلى السجع في كتبه، كما احتكم إلى البديع، من جناس وطباق وتصوير[2] ونجد فيها اهتماما أكبر بالصنعة واشتغالاً مميزاً بها دون أن يأتي هذا على حساب المعنى، يتجلى كل ذلك في رسالته إلى ابن بلكا بن ونداد، حينما استعصى على ركن الدولة وهي من غرر كلامه كما يقول الثعالبي وواسطة عقده، بدأ بقوله: إليك كتابي وَأَنا مترجح بَين طمع فِيك ويأس مِنْك وإقبال عَلَيْك وإعراض عَنْك فَإِنَّك تدل بسابق حُرْمَة وتمت بسالف خدمَة أيسرهما يُوجب رِعَايَة وَيَقْتَضِي مُحَافظَة وعناية ثمَّ تشفعهما بحادث غلُول وخيانة وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية وَأدنى ذَلِك يحبط أعمالك ويمحق كل مَا يرْعَى لَك لَا جرم أَنِّي وقفت بَين ميل إِلَيْك وميل عَلَيْك أُقَدِّمُ رجلاً لصدمك وأؤخر أُخْرَى عَن قصدك وأبسط يداً لاصطلامك واجتياحك وأثني ثَانِيَة لاستبقائك واستصلاحك وأتوقف عَن امْتِثَال بعض الْمَأْمُور فِيك ضناً بِالنعْمَةِ عنْدك ومنافسة فِي الصنيعة لديك وتأميلاً لفيئتك وانصرافك ورجاء لمراجعتك وانعطافك؛ فقد يغرب الْعقل ثمَّ يؤوب، ويعزب اللب ثمَّ يثوب، وَيذْهب الحزم ثمَّ يعود وَيفْسد الْعَزْم ثمَّ يصلح، ويُضاع الرَّأْي ثمَّ يُسْتَدرك، ويسكر الْمَرْء ثمَّ يصحو، ويكدر المَاء ثمَّ يصفو، وكل ضيقَة إِلَى رخاء، وكل غمرة فَإِلَى انجلاء...))[3] ثم يقول: وَزَعَمت أَنَّك فِي طرف من الطَّاعَة بعد أَن كنت متوسطها؛ وَإِذا كنت كَذَلِك فقد عرفت حاليها وحلبت شطريها ،فنشدتك الله لما صدقت عَمَّا سَأَلتك كَيفَ وجدت مَا زلت عَنهُ، وَكَيف تَجِد مَا صرت إِلَيْهِ؛ ألم تكن من الأول فِي ظلّ ظَلِيل، ونسيم عليل وريح بلَيْل، وهواء غذى وَمَاء روِيَ، ومهاد وطي، وَكن كنين، وَمَكَان مكين، وحصن حَصَيْن، يقيك المتالف ويؤمنك المخاوف ويكنفك من نَوَائِب الزَّمَان ويحفظك من طوارق الْحدثَان عززت بِهِ بعد الذلة وَكَثُرت بعد الْقلَّة وَارْتَفَعت بعد الضعة وايسرت بعد الْعسرَة وأثريت بعد المتربة واتسعت بعد الضيقة وظفرت بالولايات وخفقت فَوْقك الرَّايَات ووطىء عقبك الرِّجَال وتعلقت بك الآمال..))[4] . فأدبية هذه الرسالة موظفة بدقة وإيجاز وجمال لتحقق غرضين في وقت

= الواسع، انظر: ظهر الإسلام، أحمد أمين، ج1 ص267. والثعالبي كان يدعى من قبل الباخرزي بجاحظ نيسابور، أنظر :دمية القصر وعصرة أهل العصر، الباخرزي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ، ج2 ص 966. يقول شوقي ضيف في مؤلفه الفن ومذاهبه في النثر العربي:أن ابن العميد نجده يلم بجميع ضروب الثقافة لعصره، ولعله من أجل ذلك سمي باسم الجاحظ الثاني، ص206. ويروي أبو حيان التوحيدي في معرض كلامه عن إفساد الكلام: أن ابن العميد تخيّل مذهب الجاحظ وظنّ أنّه إن تبعه لحقه، وإن تلاه أدركه، فوقع بعيدا من الجاحظ، الإمتاع والمؤانسة، ص66.

(1) ياقوت، معجم الأدباء، ج5 ص2116.

(2) بلاغة الكتّاب في العصر العباسي، محمد نبيه حجاب، ص 169.

(3) يتيمة الدهر، الثعالبي، ج3 ص193.

(4) المصدر نفسه، ج3 ص 194.

واحد، الأول غرض جمالي واضح من بنية الرسالة، والثاني إقناع الخارجي بخطئه ونكرانه الجميل وتهديده ووعيده مع إعطائه فرصة ليعود إلى ما كان عليه من طاعة، فربما يسعف هذا النص الجميل في تدارك الاقتتال، وتقوم البلاغة بما يعجز عنه السيف. وقد وقف النقاد القدامى والمعاصرون عند هذه الرسالة، ورأوا فيها كما رأوا في سائر نثر ابن العميد، غاية الحذق والإتقان والصنعة مما يجعلنا نرى في تقريظ الثعالبي لابن العميد حقيقة يسندها النص أو الواقع، وعلى الرغم من أن الثعالبي اعتاد على الإسهاب في استحسان الأدباء ممن ترجم لهم، إلا أنه في معرض ذكره حسنات أدب ابن العميد وفكره لا يسهب ولا يبالغ، ومطلع كتاب ابن العميد إلى ابن بلكا خير دليل، بل فقرات الكتاب كله، ويكفي دليلاً ازدحام المعاني وتنوعها في وحدة من المعنى والغاية في السطر الأول من الرسالة حين يقول: "كتابي و أنا متأرجح بين طمع فيك، ويأس منك، وإقبال عليك".

إن الإبداع هنا يظهر في أكثر من منحى، فهو ظاهر في الإيجاز، وفي غنى الأفكار وتنوع المعاني، كما هو الظاهر في اللفظ والأسلوب، ومثل هذا الإبداع هو الذي جعل مسكويه يبحث ملتمساً السبب أو الدافع فيجده في الموهبة والفطرة والطبع، فابن العميد فنان في مواقف حياته جميعها، يصدر في أبسط أمور حياته عن نزوع فني طبعي دون حاجة إلى تكلف أو تعمد الإتقان، ولنلاحظ عمق الربط والتحليل عند مسكويه حين ينظر في هذه الظاهرة فيقول في معرض ذكر ابن العميد: "... لقد رأيته يتناول في مجلسه الذي يخلو فيه بثقاته وأهل أنسته التفاحة وما يجري مجراها، فيعبث بها ساعة ثم يدحرجها، وعليها صورة وجه، وقد خطها بظفره، لو تعمد له غيره بالآلات المعدّة، وفي الأيام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتِ له مثلها"[1] . و لعل رأي مسكويه هذا، وأدب ابن العميد هما اللذان دفعا بشوقي ضيف إلى ذكر أثر النزعة التصويرية في نثر ابن العميد حيث جعل نثره مصوراً يهتم صاحبه بصنع الصور والرسوم في كتاباته فإذا أساليبه وكأنها ثروة زخرفية هائلة (وأكبر الظن أنه تأثر في صناعته بصناعة السجاد في إقليمه، فهو يعاني في كل لفظه ما يعانيه صانع السجاد في كل خيط، ثم هو بعد ذلك يعني بالوشي الذي تعبّر عنه ألفاظه كما يُعنى صانع السجاد بالوشي الذي تعبر عنه خيوطه، وعلى هذا النمط تحولت صناعة الكتابة عند ابن العميد إلى تطريز خالص)[2] . ويتضح من كلام شوقي ضيف اهتمامه المتميز بظاهر اللفظ أكثر من اهتمامه بدفين المعاني، إن الإعجاز هنا ماثل في المعنى كما هو ماثل في اللفظ، ويعذر أستاذ شوقي ضيف إذ أخذ منه جمال الأسلوب كل مأخذ، فهذا الجمال السهل الممتنع – إن صحة التسمية– هو الذي دفع بالثعالبي كما ذكرنا من قبل إلى أن يقول في ابن العميد: "أوحد العصر في الكتابة، و الضارب في الآداب بالسهام الفائزة، والآخذ من العلوم بالأطراف القوية، يُدعى الجاحظ

(1) تجارب الأمم، مسكويه، ج 2ص275.

(2) د.شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، 209-210

الأخير، والأستاذ، والرئيس. يضرب به المثل في البلاغة، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها. إلى براعة المعاني و نفاستها، وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب، وقد سأله عند منصرفه عنها "بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد" وكان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد(1)".

ولعل أهم ما يميز نص الثعالبي السابق إشادته بحسن الترسل في نثر ابن العميد، وهو في ذلك ينظر إلى المسألة من وجهة نظر الطبع أكثر مما ينظر إليها شوقي ضيف الذي أسرف في النظر إلى نثر ابن العميد على أنه صنعة وتكلف وزخرفة واهتمام كبير بالتصوير والطباق والجناس، ومهما يكن من أمر فكلا الرجلين يرى في نثر ابن العميد مسوغاً لما يذهب إليه، والسبب في هذا أولاً وأخرا يعود إلى غنى النص النثري عند ابن العميد على مستوى الشكل وعلى مستوى المضمون.

هذا الغنى هو الذي جعل محمد كردعلي يخالف رأي ابن سنان في نثر ابن العميد، فيذكر محمد كردعلي رأي ابن سنان –دون أن يذكر المصدر الذي أخذ عنه، وهذا شأنه في كتابه أمراء البيان.

"كان ابن العميد يترك السجع ويتجنبه، وطريقته استعماله مرة ورفضه أخرى، بحسب ما يوجد من السهولة والتيسير، أو الإكراه والتكلف" ويتابع كردعلي فيقول:" أما نحن فإن ما وصلنا من كتاباته يضطرنا إلى أن نحكم عليه حكماً يخالف حكم ابن سنان، ذلك لأن ما رأيناه كان إلى التسجيع والمزاوجة أقرب"(2) .

ونحن إذا أعدنا النظر في ما وصل إلينا من نثر ابن العميد وجدنا رأي ابن سنان هو الصائب، و أن مخالفة كرد علي له ليست في محلها وإن كان ختام قوله: "كان إلى التسجيع والمزاوجة أقرب" صوابا فابن العميد قريب إلى التسجيع والمزاوجة و إن كان أحياناً يستعمل ذلك ويرفضه أحيانا أخرى.

ثم يعلق عليه نبيه حجاب بقوله: والقطعة كما ترى مليئة بالطباق والجناس عدا السجع الهادئ المطبوع أما الجناس ففي قوله: كَن كنين وَمَكَان مكين وحصن حصَيْن، وإن كان جناساً ناقصاً... وأما الطباق فيجلل الرسالة، كلها وتراه بادياً في قوله، بين:(طمع ويأس) و(إقبال وإدبار) و(ميل إليك وميل عنك) و (أقدم وأؤخر) و(أبسط وأثنى) و(يعزب ويؤوب) و(يعزب ويثوب) و(يذهب ويعود) و(يفسد ويصلح) و(ويضاع ويستدرك) و(يسكر ويصحو) و(يكدر ويصفو) و(ضيقة ورجاء) و(غمرة وانجلاء) و(طرف ومتوسط) و(زلت عنه وصرت إليه) و(الأمن والخوف) و(العزة والذلة) و(الكثرة والقلة) و(الرفعة والضعة) و(اليسر والعسر) و(والثراء والمتربة) و(الاتساع والضيق).

---

(1) يتيمة الدهر، الثعالبي، ج 3ص155.

(2) أمراء البيان، محمد كرد علي،ص 556

تمثل مدرسة ابن العميد خاتمة التّطوّر الفنيّ الذي وصل إليه التّرسل العربيّ، إذ أنّ معظم من جاء بعده التزم بمدرسته مع التركيز على بعض خصائصه أكثر من غيرها. و قد جمعت مدرسة ابن العميد الأدبية جودة المعنى والمضمون، على غرار مدرسة الجاحظ، إلى جانب الاحتفال بالقالب و الصياغة. ويمكن تلخيص الخصائص البلاغيّة لهذه المدرسة بالبنود التالية:

استخدام ابن العميد السّجع، والتوازن بين السجعات(1)، مع توخي السجع القصير الفقرات(2) الإكثار من المحسّنات البديعية كالجناس والطباق والتورية(3) وتكلف في ذكر المجاز والاستعارة والتشبيه(4)، كما استعمل الترادف و الإسهاب و الإطناب(5)، كثرة التضمين والاقتباس من القران الكريم والأحاديث والأمثال والحكم والأبيات المشهورة(6)، استعمل ألفاظ التعظيم والتبجيل، وادخل بعض العبارات الفلسفية،(7) أظهر في الأسلوب الذي اتبعه الإغراب في الإشارات التاريخية واللغوية والعلمية، أثر الفلسفة و العلوم الدّخيلة، براعة في حسن استعمال حروف الجر وسائر الروابط الأخرى(8)، تأثر ابن العميد بموسيقا الشعر وأوزانه، فاهتم بتناسق الجمل، وتساوي الفقرات، واتحاد حروف الروي، فلذلك كثيراً ما كان ابن العميد يضمن رسائله أشعاراً مختارة، أو يضع فيها من شعره.(9) ليس ما يميّز ابن العميد عمّن جاؤوا قبله أيٌّ من هذه الخصائص منفردة، بل اجتماعها معا في النص الواحد. فقد اصطلح كتّاب تلك الفترة على أن يعمّموا السّجع في معظم ما يكتبون، غير أن ابن العميد قد ألزم إقران السجع بالبديع من جناسٍ و طباقٍ وتصوير(10) . و هذا التصوير يمكن اعتباره خاصية منفردة عند ابن العميد لولعه بها وهذا يظهر في مقولة مسكويه حيث يقول: ولقد رأيته يتناول من مجلسه الذي يخلو فيه بثقاته وأهل

---

(1) تاريخ الأدب العربي(عصر الدول والإمارات)، شوقي ضيف، ص 657.

(2) أدب العرب، مارون عبود ، دار الثقافة ص 302.

(3) تاريخ الأدب العربي(عصر الدول والإمارات)، شوقي ضيف، ص 657.

(4) المفصل في تاريخ العرب، أحمد أمين وزملائه، مكتبة الآداب ج3 ص89. انظر شخصيات أدبية من المشرق والمغرب، كرو أبولقاسم محمد وزميله، دار مكتبة الحياط، ط2، ص 204.

(5) المصدر السابق، ج2 ص 89.

(6) المصدر نفسه، ج2 ص89.

(7) المصدر نفسه، ج2 ص89.

(8) تاريخ الأدب العربي، حنا فاخوري، ص 715-717.

(9) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، إبراهيم على أبو الخشب، دار الفكر العربي، ص371-374.

(10) ولهذا الفن (اقتران السجع والبديع) جعله صاحب كتاب الفن ومذاهبه في النثر العربي أستاذ مذهب التصنيع فيقول في ذلك كان ابن العميد يسجع في كتابته، ولكن ليس هذا ما يلفتنا عنده، إنما الذي يلفتنا حقًا هو أن مذهب التصنيع تماثل على يديه في الصورة التي كانت تنتظره منذ القرن الثاني، ونقصد صورة السجع من جهة، والاحتكام إلى البديع فيما ينشئ الكاتب من جهة أخرى، ومن أجل ذلك قلنا: إن ابن العميد هو أستاذ مذهب التصنيع بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، ص209.

مؤانسته التفاحة وما يجرى مجراها فيعبث بها ساعة ثم يدحرجها وعليها صورة وجه قد خطها بظفره لو تعمّد لها غيره بالآلات المعدة في الأيام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتّى له مثلها [1].

انعكست هذه النزعة التصويرية عند ابن العميد على نثره، فجعلته يحفل بصنع الصور البلاغيّة إضافة إلى ألوان البديع الأخرى. ويتميّز سجع ابن العميد عن سجع كتّاب الدواوين من قبله بصفة الموازنة؛ إذ كان يعمد إلى تقصير جمله أو تطويلها التزاماً بالتّوازن بين العبارتين المتتاليتين[2] . و إذ كان ابن العميد مولعاً بالإسهاب، فإن إسهابه يختلف عن إسهاب من جاء قبله كالجاحظ الذي كان يستمد صوب عقله ويلمّ بأطراف المعنى من كلّ ناحية، بينما إسهاب ابن العميد كان يرنو إلى التعبير عن سعة المعرفة أكثر من التّعبير عن المقدرة العقليّة والمعنوية [3].

أما فيما يتعلّق بالنّقد الأدبي والكتابة عند ابن العميد، فلم يصلنا من هذا النقد سوى ما نقله تلميذه الصاحب بن عباد؛ فهو يروي أنه جالس الشعراء وأكابر الأدباء والفضلاء ووجد ابن العميد أعرفهم بالشعر ونقده[4] . ومن معالم مدرسته النّقدية، التي فصّلها كتاب تلميذه الصاحب ((ذمّ الخطأ في الشعر))، يمكن استخلاص المبادئ التالية: مراعاة العلاقات بين الحروف ،سلامة اللّفظ ، البعد عن تكرار الكلمات والحروف، حسن اختيار الأوزان والقوافي تبعاً للمعنى المقصود.

(1) تجارب الأمم، مسكويه، ج6ص319.

(2) شوقي ضيف، ص211.

(3) خليل مردم، ابن العميد (دمشق: مكتبة عرفة، 1931)، ص 51.

(4) الصاحب ابن عباد، الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، مكتبة القدسي، القاهرة، 1930، ص4.

خاتمة

لقد تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن الظاهرة الأدبية والفكرية بلغت في العهد البويهي من الاتساع والقوة والتنوع والثراء، ما يجعل من هذا العهد مرحلة متميزة في المسار التاريخي للحضارة الإسلامية، و إذا كان العهد العباسي الأول يمثل مرحلة التأسيس للثقافة العربية الإسلامية التي وضعت الملامح العامَّة الثّابتة للعقل العربي الإسلامي لاحقاً، فإن العهد البويهيّ يمثل مرحلة لإعادة التّأسيس على ركائز نوعيّة جديدة، أكثر تطوراً. ومما لفت انتباهنا في هذا الشأن، أن ازدهار الحياة الأدبية والفكرية بأعداد غفيرة من الأدباء والمفكرين إلى مقدمة الرّكل التّاريخيّ ليقوموا بأدوار وظيفية هامة، في علاقة مباشرة بالسلطة البويهية؛ وأن بلوغ هذه المرحلة يعود بدوره إلى سيطرة بعض خصائص مدرسة ابن العميد المرتبطة بالقصر البويهي على خصائصها الأخرى، خاصة الاهتمام بالمبنى في مدرسته، مما أدى إلى فقدان التوازن بين المعنى والمبنى؛ علماً أن مراعاة هذا التوازن هي التي أدت إلى ظهور العديد من الأعمال الأدبية الأصيلة في الدولة البويهية، والاهتمام بالمبنى على حساب المعنى، أدّيا إلى إخراج الكثير من الأعمال المبتكرة في العصور اللاحقة، والتي لا تسير وفقا لهذا المنهاج من مكتبة الأدب الرفيع.

المصادر والمراجع

- الآثار الباقية عن القرون الخالية، أبو ريحان الخوارزمي البيروني، تحقيق، إدوار كاخو(د.م.د.ت.).
- أبو حيان التوحيدي، بين ابن العميد الأب وابن العميد الابن، طه الحاجري، الكويت، مجلة العربي، العدد 1393،179هـ-1973م.
- أحسن التقاسيم، المقدسي، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، 1991/1411.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.
- أعلام الأدب العباسي، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1980م.
- أمراء البيان، محمد كرد علي، ط2.
- تطور أساليب النثرية في الأدب العربي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين،بيروت، لبنان، ط9، 1998م.
- بديع الزمان الهمذاني، مارون عبود، سلسلة نوابغ الفكر العربي،دار المعارف القاهرة، طبعة الاولى 1963.
- بغية الطلب في تاريخ حلب،ابن العديم،بتحقيق سهيل زكار، دار الفكر.
- بلاغة الكتاب في العصر العباسي، محمد نبيه حجاب، ط2، مكة، جامعة أم القرى، 1406هـ-1980م.
- تاريخ الأدب العربي، أحمد حسن الزيات، مطبعة الاعتماد، ط5 .
- تاريخ الأدب العربي، الأعصر العباسية، عمر فروخ، دار العالم للملايين ، ج1 ، بيروت 1928م.
- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني، إبراهيم على أبو الخشب، دار الفكر العربي.
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم, مسكويه, دار الكتاب الإسلامي القاهرة.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي ،دار المعارف - القاهرة.
-الجامع في تاريخ العربي، الأدب القديم، حنا الفاخوري، دار الجيل، ط1، 1986م.
- الخلافة العباسية السقوط والانهيار، فاروق عمر فوزي، دار الشروق للنشر، عمان الأردن، 2003 م.
- ابن العميد، خليل مردم، مكتبة عرفة، دمشق، 1931.
- دراسات في تاريخ العباسي تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي-مقاطعة فارس-، حسن منيمة، بدون طبعة، 1987م.

- دمية القصر وعصرة أهل العصر، الباخرزي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1414 هـ.
- ديوان المتنبي، البرقوقي، دار الكتاب العربي ،بيروت لبنان، 1407هـ 1986م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، بتحقيق شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية، 1984م.
- شخصيات أدبية من المشرق والمغرب، كرو أبولقاسم محمد وزميله، دار مكتبة الحياط، ط2.
- شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، حققه محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م.
- شعر الكتاب في القرن الرابع الهجري، وفيقة الدخيل،مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، 1421هـ-2000م.
- الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، الصاحب ابن عباد؛ القاهرة، مكتبة القدسي، 1930م.
- ظهر الإسلام، أحمد أمين، بيروت، دار الكتاب العربي، 1388هـ-1966م.
- الفخري في آداب السلطانية والدول الإسلامية،ابن الطقطقي دار القلم العربي، بيروت، الطبعة الأولى.
- الفن ومذاهبه في النثر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة.
- الفهرست، ابن النديم، المحقق إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت - لبنان، الطبعة الثانية 1417 هـ - 1997 م.
- قراءات في الأدب العباسي، الحركة النثرية، أحلام الزعيم، مطبعة الاتحاد دمشق، 1990.
- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، المطبعة الحسينية المصرية, الطبعة الأولى.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر،المسعودي،بيروت، 1965.
- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، المحقق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت الطبعة الأولى، 1414 هـ - 1993 م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995 م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي.
- المفصل في تاريخ العرب، أحمد أمين وزملائه، مكتبة الآداب .
- مقامات بديع الزمان الهمذاني ،أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بديع الزمان الهمذاني ،بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة الأزهرية، 1342 هـ - 1923 م.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، بتحقيق مصطفى ومحمد ابني عبدا لقادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى1992 م.
- النثر الفني في القرن الرابع، زكي مبارك ، مكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط2.
- الوسيط في الأدب العربي، أحمد الاسكندري ومصطفى عناني، القاهرة، الطبعة الثانية، 1931م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، دار صادر - بيروت 1900م.
- يتيمة الدهر، الثعالبي، بتحقيق: د. مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ1983م.